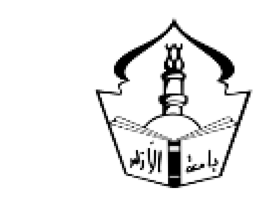


كلية الدراسات الإسلامية والعربية

للبنين بدسوق

اتقاء هـــوى النفس

فـــي شرعــــة القرآن ومنهاجـــه

د. عـادل رشاد غنيم

الملخص

يتناول هذه البحث تدبير القرآن الكريم لاتقاء هوى النفس في شرعته ومنهاجه ، المشار إليهما في قوله تعالى : {وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءهُمْ عَمَّا جَاءكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجاً} (سورة المائدة: ٤٨)

وَخلص البحَث إلىَ كشفَ حقيقة هوى النفس ،وبيان شرعة القرآن ومنهاجه في اتقائه ، وتبين أن الأهواء ميول بشرية تتعلق بغرائز الإنسان الفطرية وشهواته الجبلية ، التي تتطلب ضبطا وحذرا واتقاء ، وليست شرا محضا أو أمر مذموما في كل أحواله والتحذير من الأهواء أو اتباعها عندما تضغط على صاحبها لتدفعه إلى تصرف مخالف للعقل والشرع .

كما كشف عن التدابير الشرعية في اتقاء الهوى من خلال مبدأ الإبدال أو التعويض الذي يعني أن الإسلام عوضها عما حرمه عليها من مشتهياتها بما شرعه لها من الطيبات في غير سرف، كما يظهر في شعائر العبادات ، يتم تهذيب الغرائز ، و الإسلام لم يحرِّم على الإنسان التمتع بلذائذ الحياة وتصريف الطاقات ، وإنما وجهها وهذبها ، ووضع لها الحدود والضوابط ؛ لتحفظ للإنسان توازنه ؛ ولهذا فإن المؤمن لا يتبع أهوائه، بل يخضعها لإرادة الله تبارك وتعالى بامتثال أوامره واجتناب نواهيه .

واستخلص البحث أسس المنهاج القرآني لاتقاء الأهواء معرفيا ووجدانيا وسلوكيا ومجتمعيا ، من خلال عقيدة تبين الغاية والمصير ، وفكر يقوم على العلم ونبذ الاستهواء والتقليد ، وعاطفة تحفز إلى الميول إلى الخير وتزع عن ميول الشر ، وسلوك يتطلب مجاهدة في مقاومة النزوات وتسعى إلى يوافق الفطرة والشرع، وبيئة اجتماعية توفر تنشئة صالحة ، و تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر .

مقدمة

الحمد لله الذي أنزل كتابه هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان ، والصلاة والسلام على رسوله الذي كان خلقه القرآن ، وبعد :

فقد تناول القرآن الكريم الحديث عن النفس الإنسانية ، وشرع لها ما يزكيها ، وبصرها بالمخاطر التي تودي بها إذا أساءت التعامل مع فطرتها

وغرائزها ، ومن أخطر الموضوعات التي عرض لها القرآن (هوى النفس) ، حيث تردد ذكر الهوى – بصيغة المفرد والمجموع في مواضع بلغ تعدادها ثمانية وثلاثين موضعا من السور المكية والمدنية على السواء ، في سياق التحذير من اتباع الهوى الشخصي أو أهواء الآخرين .

ويهدف البحث إلى تحديد موقف القرآن من هوى النفس و استخلاص أسس منهجه في التعامل معه ، من خلال الإجابة على الأسئلة التالية :

١. ما حقيقة هوى النفس في القرآن الكريم وهل هو أمر محمود أو مذموم ؟
٢. ماذا شرع القرآن في التعامل مع هوى النفس ، وهل أمر بقمعه واسئصاله أم دعا إلى ضبطه واتقائه ؟
٣. وما الأسس التي يقوم عليها منهاج القرآن في اتقاء هوى النفس ؟

و الفرضيات التي يسعى البحث إلى التحقق منها هي :

١. الأهواء ميول بشرية تجاه ما تحبه النفس من مطالب وحاجات، أو متع وشهوات ويدخل فيه الميل إلى الحق وغيره ، فلا ينبغي ذم الهوى مطلقا ولا مدحه مطلقا.

٢. شرائع القرآن تتجه إلى اتقاء هوى النفس ، وضبطه في حد الاعتدال دون إفراط أو تفريط ، والتحذير من الانقياد له دون علم أو هدي .

٣. القرآن يتضمن منهاجا واضح المعالم لاتقاء هوى النفس يرتكز على أسس عقدية وفكرية ووجدانية وسلوكية و مجتمعية.

ويستند البحث في بيان شرعة القرآن ومنهاجه في التعامل مع الأهواء على قوله تعالى : {وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ} (سورة المائدة : ٤٨) ، وفيه نص القرآن على أن للإسلام شرعة ومنهاجا في سياق النهي عن اتباع أهواء الآخرين .

وترجع أهمية البحث في أن جوهر تزكية النفس يقوم على أساس تزكيتها من خلال التعامل الحكيم مع فطرتها وما زودت به من طاقات ، وفهم حقيقة هوى النفس وضبطه ، والمحصلة لذلك كله تحقيق الفلاح في الدنيا والآخرة كما أكد القرآن ،في قوله تعالى {قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ} (سورة الأعلى:١٤) ، وفي قوله تعالى : {قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا} (سورة الشمس:٩) ، وتوقي أسباب السقوط الناتج عن اتباع الأهواء المخالفة

للشرع والعقل .

منهج الدراسة :

لتمحيص فرضيات البحث استخدم الباحث المنهج الوصفي التحليلي للنصوص القرآنية ، مع مراعاة ما يلي :

١. الاستدلال من الكتاب والسنة الصحيحة على ما يساق من دلالات في كتب التفسير من المصادر الأصيلة والمراجع المعاصرة حسبما تقتضيه طبيعة البحث.

٢. ترقيم الآيات، وعزوها إلى سورها داخل متن البحث.

٣, تخريج الأحاديث من مصادر السنة المعتمدة .

٤. توثيق المصادر في هامش الصفحة بذكر اسم الكتاب ورقم الجزء والصفحة ، ثم بيان معلومات النشر في ثبت المصادر والمراجع .

خطة البحث :

وتتكون خطة البحث من مقدمة وتمهيد وثلاثة مباحث وخاتمة :

تمهيد : في مفهوم النفس في اللغة والاصطلاح .

المبحث الأول : حقيقة الهوى في اللغة والاصطلاح .

المبحث الثاني : شرعة القرآن في اتقاء هوى النفس.

المبحث الثالث : منهاج القرآن في اتقاء هوى النفس .

خاتمة : أهم النتائج التي انتهى إليه البحث .

ثبت بمصادر البحث ومراجعه.

وكتبه د. عادل رشاد غنيم

تمهيد

مفهوم النفس البشرية في القرآن الكريم

إن التوصل إلى كنه النفس البشرية أمر حار فيه الفلاسفة العلماء والمفكرون ، ولهم آراء شتى في تعريفهم للنفس وعلاقتها بالروح ، يقول ابن مسكويه : "إنّ الكلام في النَّفْس وتحقيق ماهيتها وقسطها من الوجود وبقائها بعد مفارقة البدن أمر مستصعب غامض" (١) ، ويتناول هذا التمهيد بيان الدلالة اللغوية وخلاصة ما قاله العلماء والمفكرون ، ثم يوضح مفهوم النفس في السياق القرآن وأقوال المفسرين .

النفس في اللغة :

يقول ابن منظور: "النَّفْس: الرُّوح، والنَّفْس ما يكون به التمييز،"(٢) ويستدل على هذين المعنيين بقوله سبحانه: {اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ} (سورة الزمَر : ٤٢)، فَالنَّفْس الأولى هيَ الّتي تزول بزوال الحياة، والنَّفْس الثانية التي تزول بزوال العقل" (٣).

ومن معاني النَّفْس الدَّم ، ولعل ذلك لأن حياة النفس تذهب بذهابه ، وشاهده قول السموءل:

تسيل على حدِّ الظُّبات نفوسنا   وليست على غير الظُّبات تسيل (٤)

---

(١) الفوز الأصغر لابن مسكويه ، ص ٦

(٢) لسان العرب. مادة (ن ف س) ، (٦/ ٢٣٣)

(٣) لسان العرب. مادة (ن ف س) ، (٦/ ٢٣٣)

(٤) ديوانا عروة والسمّوأل ، ص ٩١

ويعبر بالنَّفْس عن الإنسان جميعه، كقولهم عندي ثلاثة أنفس ، وهوقول الزبيدي [١] ، كقوله تعالى: {أَن تَقُولَ نَفْس يا حسرتَى علَى ما فَرَّطتُ في جَنب الله وإن كُنتُ لَمنَ السَّاخرين} (سورة الزمر : ٥٦) ، .. والنَّفْس: الجسد"[٢] .

أما ابن ابن فارس فقد اتجه نحو البحث الدقيق عن أقيسة الألفاظ واقتفاء أصولها الاشتقاقية ، فهو يرى أنّ " النون والفاء والسين أصل واحد يدلُّ على خروج النّسيم [٣].

ويمكن حصر الآراء والاحاديث المتعلقة بماهية النَّفْس في تصورين اثنين:

أولا: التصور المادي:

ويرى أصحاب هذا الرأي أن النَّفْس جسم لطيف محسوس، وأنّ الإنسان هو هذا الجسم، ومن هؤلاء ابن القيم، وابن حزم وفخر الدين الرازي، وهو ما يراه بعض فلاسفة المسلمين واليونان [٤].

يقول ابن حزم مدللا على هذا الرأي : "فمن الدليل على أنّ النَّفْس جسم من الأجسام انقسامها على الأشخاص، فنفس زيد غير نفس عمرو، فلو كانت النَّفْس واحدة لا تنقسم على ما يزعم الجاهلون القائلون إنها جوهر

لا جسم لوجب ضرورة أن تكون نفس المحبِّ هي نفس المبغض وهي نفس

---

(١) تاج العروس .مادة (ن ف س) ، (٤/٢٦٠- ٢٦٢) .

(٢) لسان العرب. مادة (ن ف س) ، (٣٢٠ / ٣) .

(٣) مقاييس اللغة ، (ن ف س) ، (٥/٤٦٠) .

(٤) المقالة الأولى، أرسطو، طاليس ، ص ٢ .

المحبوب..[١].

ويجزم ابن القيم بصحة هذا الرأي فالنفس عنده :" جسم نوراني علوي خفيف حي متحرك ينفذ في جوهر الأعضاء، ويسري فيها سريان الماء في الورد، وسريان الدهن في الزيتون، والنار في الفحم..، وهذا هو القول الصواب في المسألة، هو الذي لا يصح غيره، وكل الأقوال سواه باطلة، وعليه دلّ الكتاب والسنة وإجماع الصحابة وأدلة العقل والفطرة [٢].

ثانيا : التصور الرُّوحي :

ويرى أصحاب هذا الرأي أنَّ النَّفْس جوهر روحاني خالص متمايز عن البدن، أي ليس بجسم، وقد حمل لواء هذا التصور ابن سينا، والغزالي ، وبداية خيوط هذا التصور يونانية، فقد نادى به سقراط ، وأرسطو وأفلاطون، ثمَ تبناه فيما بعد عددٌ كبير من فلاسفة المسلمين أمثال بعض شيوخ المعتزلة، وإخوان الصفا.

والنَّفْس عند إخوان الصفا جوهرة روحانية حية، فهي بالنسبة للجسد دار أُعدّت ببنائها وأثاثها إعدادا محكما لصاحبها، وكل عضو من أعضاء الجسد قوة من قوى النَّفْس[٣] ، ويعرف الجرجاني النَّفْس بأنها:"الجوهر البخاري اللطيف الحامل لقوة الحياة والحس والحركة الإرادية " [٤]

النفس في المفهوم القرآني :

وردت كلمة النَّفْس، كما أحصاها المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، في (٢٩٥) مائتين وخمسة وتسعين موضعا، وذلك على صور

---

(١) الفصل في المِلل والأهواء والنِّحل ، (٤٧/١) .
(٢) الرُّوح، ص ١٨٥ .
(٣)انظر: رسائل إخوان الصّفا، (٣٨٣/٢) .
(٤) التعريفات، الجرجاني ، ص ٣١٢ .

مختلفة، سواء في الإفراد أو التثنية أو الجمع ، وظاهر السياق القرآني الذي تناول النفس الإنسانية يبين أنها جاءت لتدل على ذات الإنسان ، والنَّفْس تعني الأصل البشري كما قال تعالى : (ياأَيُّها النَّاس اتَّقُوا ربَّكُم الذِي خلَقَكُمْ من نَفْسٍ واحدة وخَلَق منها زوجها وبثَّ منهما رجالاً كثيرا ونساء) (النساء: ١) .

كما أن النفس لديها استعداد للخير والشر ، قال تعالى : (ونَفْسٍ وما سوَّاها(٧)فَأَلْهمها فُجورها وتَقْواها(٨)قَدْ أَفْلَح من زَكَّاها(٩)وقَدْ خابَ من دسَّاها) (الشمس: ٧-١٠).

وفسر ابن عباس رضى الله عنهما الإلهام بقوله : "بين لها الخير والشر"[١] ، وقال الرازي رحمه الله : إن إلهام الفجور والتقوى إفهامهما وإعقالهما ، وأن أحدهما حسن والآخر قبيح وتمكينه من اختيار ما شاء منهما ،[٢] وهو كقوله : {وهديناه النَّجدينْ} (البلد : ١٠).

وصح في رواية أبي هريرة ﷺ أنه قال: قرأ رسول الله ﷺ قوله تعالى : {ونَفْسٍ وما سوَّاها فأَلْهمها فُجورها وتَقْواها } سورة الشمس :(٧- ٨) ، ثم قالَ: (اللهم آت نفسي تقواها، وزكها أنت خير من زكها، أنت وليها ومولاها)[٣].

وحاول العلماء تقديم وصف للنفس وعلاقتها بالروح ، مع الاستعانة بالتشبيهات وهي أقرب إلى تعريف آثارها وعلاقتها بالبدن ، فأورد ابن كثير في تفسيره كلام للسهيلي[٤] في الخلاف بين العلماء في أن الروح هي

---

(١) تفسير ابن كثير (٨/ ٤١١) .
(٢) تفسير الرازي ، (٣١/ ١٧٧) .
(٣) صحيح مسلم: (٤/ ٢٠٨٨) .
(٤) الروض الأنف ، (٣/ ١٩١) .

النفس،ورأى أنها ذات لطيفة كالهواء، سارية في الجسد كسريان الماء في عروق الشجر. وقرر أن الروح التي ينفخها الملك في الجنين هي النفس بشرط اتصالها بالبدن، واكتسابها بسببه صفات مدح أو ذم، فهي إما نفس مطمئنة أو أمارة بالسوء. فحاصل ما يقول أن الروح أصل النفس ومادتها، والنفس مركبة منها ومن اتصالها بالبدن، فهي هي من وجه لا من كل وجه [١].

كذلك يكشف الألوسي عن علاقة النفس بالبدن بقوله أن النفس هي : (الجوهر المتعلق بالبدن تعلق التدبير، والتصريف أو الجسم النوراني الخفيف الحي المتحرك النافذ في الأعضاء، الساري فيها، سريان ماء الورد في الورد).[٢].

ويرى الرازي أن النفس جوهر مفارق عن البدن لكنها تستخدم أعضاء الجسم أدوات للنفس ، ويوضح أن النفس مع كونها مستقلة عن البدن ؛لكن النفس تبصر بالعين وتسمع بالأذن وتتفكر بالدماغ وتعقل بالقلب ، فهذه الأعضاء آلات النفس وأدوات لها ، والنفس جوهر مغاير لها مفارق عنها بالذات متعلق بها تعلق التصرف والتدبير [٣].

والرؤية الأقرب إلى الصواب من كلامهم أن النفس مركّب مشتملة على الجسم والروح ، وباقترانهما، تتكون هذه النفس التي تستخدم البدن في نشاطها ،واتصالها بالعالم ولها ميول ورغبات نابعة من الغرائز الفطرية التي تتعلق باحتياجاتها العضوية والنفسية .وعند الوفاة تنفصل الروح عن

---

(١) تفسير ابن كثير ، (٥/ ١١٦) .

(٢) روح المعاني، للآلوسي، (١٧/ ٤٦).

(٣) تفسير الفخر الرازى ، (٢١/ ٣٩٨).

الجسد ، ثم تقترن به عندما يبعث الله الخلائق ، قال عكرمة: « وإذا النفوس زوجت » : قرنت الأرواح بالأجساد؛ أي ردت إليها "[١].

حالات النفس:

النفس كيان واحد لها عدة أحوال أو صفات ، وتكون في أفضل حالاتها عندما تكون مطمئنة، قال تعالى : {يا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ} (سورة الفجر:٢٧) ، وقد فُسر الاطمئنان : بيقين وجود الله ووحدانيته ، وفسر باليقين بوعد الله ، وبالإخلاص في العمل ، ولا جرم أن ذلك كله من مقومات الاطمئنان المقصود فمجموعه مراد [٢].

وفي حال آخر تعيش النفس مرحلة صراع بين شهواتها وقيمها ، بين العاطفة والواجب أو بين الهوى والهدى ، وعندما تكون في موقف النقد الذاتي لتصرفاتها ، فتكون لوامة ، كما وجاء وصفها في قوله تعالى : {ولَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ} (سورة القيامة : ٢) ، واللوامة صيغة مبالغة "لأنها تكثَر لوَم صاحبها علىَ التقصير في التقوى والطاعة . وهذا اللوم هو المعبر عنه في الاصطلاح بالمحاسبة ، ولومها يكون بتفكيرها وحديثها النفسي . قال الحسن : (ما يرى المؤمن إلاّ يلوم نفسه على ما فات ويندم ، يلوم نفسه على الشر لم فعله وعلى الخير لم لا يستكثر منه) ، فهذه نفوس خيرة حقيقة أن تشرف بالقسم بها وما كان يوم القيامة إلاّ لكرامتها ، والمراد اللوامة في الدنيا لوماً تنشأ عنه

(١) تفسير القرطبي ، (١٩/ ٢٣٢) .

(٢) التحرير والتنوير ، (٣٠/ ٣٤٣) .

التوبة والتقوى. [١]

فإذا ضعفت النفس عن ضبط أهوائها ، وانصاعت لغرائزها ، فإنها تصبح في أسوأ حالاتها ، حيث تكون أمارة بالسوء ، كما قال تعالى : { إِنَّ النَّفْسَ لأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلاَّ مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ} (سورة يوسف : ٥٣) ، قال أبو جعفَرَ: إن النَفوس نفَوس العباد، تأمَرهم بما تهواه، وإن كان هواها في غير ما فيه رضا الله= (إلا ما رحم ربي) يقول: إلا أن يرحم ربي من شا ء من خلقه، فينجيه من اتباع هواها وطاعتها فيما تأمره به من السوء [٢].

وواضح من كلام الطبرى مدى تأثير الهوى في تغير أحوال النفس .

---

(١) نفس المرجع ، (٢٩/ ٣٣٨) .

(٢) تفسير الطبري ، (١٦/ ١٤٢) .

المبحث الأول

حقيقة الهوى في اللغة والاصطلاح

أولا : الهوى في اللغة :

تقدم لنا معاجمنا المعاني الأولية للهوى على أنه حب غالب أو رغبة عارمة في الخير أو الشر ، يقول صاحب القاموس المحيط : الهوى بالقصر : العِشْقُ يكونُ في الخَيْرِ والشَّرِّ وإرادَةُ النَّفْسِ[١] ، ويضيف صاحب اللسان أن هَوى النفسِ إرادتها والجمع الأَهْواء ، و في اللسان : الهَوى محبةُ الإنسان الشيء وغَلَبته على قلبه [٢] ،كما أطلق الهوى على ميل النفس وانحرافها نحو الشيء [٣] ، وعرفه الأنصاري: "الهوى: ميل القلب إلى ما يستلّذ به" [٤]وذكر ابن الجوزي بأنه: "ميل الطبع إلى مايلائمه"[٥] ، وتعريف ابن الجوزي نقله ابن قيم الجوزية بنصه في كتابه: روضة المحبين[٦].

وذكر ابن فار س أن من معاني الهوى السقوط ، هوى الشّيء يهوي: (سقط)[٧] ، وكذلك قال الاصمعي: هوى بالفتح يهوى هويا، أي سقط إلى أسفل [٨] .

فالهوى في اللغة يتضمن معنى الحب الغالب والميل الجارف للمستلذات ، والانجذاب إلى الشئ إلى درجة السقوط .

---

(١) صاحب القاموس المحيط ، ص ١٧٣٥ .

(٢) لسان العرب ، (١٥/ ٣٧١) .

(٣) المصباح المنير ، (٦٤٣/٢) .

(٤) الحدود الأنيقة والتعريفات الدقيقة، ص ٦٨ .

(٥) ذم الهوى، ص ١٢ .

(٦) روضة المحبين، ص ٤٦٩ .

(٧) معجم مقاييس اللغة ،(٦/ ١٥) .

(٨) الصحاح في اللغة ، (٦/ ٣٨٨) .

وهذا يعني أن الهوى في الأصل من الأمور الحيادية التي قد تكون خيرا

أو شرا .

ثانيا : الهوى في الاصطلاح :

ورد معنى الهوى بمعنى الميل والمحبة في صيغة فعلية في قوله تعالى :

{ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ } (سورة إبراهيم : ٣٧) ، وعلى هذا أقوال كثير من المفسرين ، قال الطبري : تنزع إليهم وتريدهم.(١) ، قال الألوسي : تميل ، و تسرع اليهم شوقا ووادا ، (٢).

كما استخدمت مفردة الهوى في صيغتها الفعلية بمعنى السقوط في قوله تعالى : {وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى} (سورة النجم : ١) .

الهوى مجموعة من الميول النفسية التي تنشأ من الدوافع او الغرائز الفطرية التي تصاحبه منذ ولادته وبعضها يتبلور كلما ترعرع وتفاعل مع البيئة الاجتماعية ، والغرائز ما هي الا تعبير عن حاجات طبيعية وفطرية في الانسان لايمكن كبتها .

والغرائز جمع غريزة وهي الطبيعةُ والقريحةُ والسَّجيَّة من خير أَو شر (٣) ، أما معناها الاصطلاحي فيرى أن الغريزة قوة كامنة فِي الكائن الحي تدفعه الى انواع مختلفة من السلوك ، وهي المحركات الأولى لكل سلوك (٤).

وهوى النفس يعني حب الذات، بما جبلت عليه من ميل للغرائز

---

(١) تفسير الطبري ،(١١/ ٤٥١) .
(٢) روح المعاني، (١٣/ ٢٣٨) .
(٣) لسان العرب ،(٥/ ٣٨٦) .
(٤) مبادىء علم النفس ، ص ١١٩ .

الفطرية التي تدفع الإنسان نحو إشباعها مثل غريزة الجوع أو الجنس ، وفي الحالات العادية يتخذ الإنسان السبل السليمة نحو تلبية غرائزه ؛ لكنه قد يتخذ طرقا شاذة في إشباعها بسبب العجلة أو الطمع .

ويمثل الإحساس بهذه الغرائز شهوات بشرية تنتهي إلى شهوة واحدة هي شهوة الحياة الدنيا، التي إن تجاوزت حد الاعتدال دفعت صاحبها إلى اتباع هواه في غير هدى :

{ولَوْ شئْنَا لَرفَعْنَاهُ بهَا ولَكنَّهُ أَخْلَدَ إلَى الأَرْضِ واتَّبعَ هوَاهُ } (سورة الأعراف : ١٧٦) .

وعند نتتبع استخدامات الهوى نلاحظ أن معظمها جاء في سياق النهي عن اتباع هوى النفس أو أهواء الغير، والنكير على انتهى به الانقياد إليه إلى درجة اتخاذه إلها ، ومن أمثلة ذلك ، قوله تعالى : { فَلاَ تَتَّبعُواْ الْهوى أَن تعدلُواْ } (سورة النساء : ١٣٥) ، { ولا تَتَّبعِ الْهوى فَيضلَّكَ عن سبيل الله } (سورة ص ٢٦) ، { ونهى النَّفْس عن الْهوى }(سورة النازعات : ٤٠ ، { ولَئن اتَّبعتَ أَهْواءهم بعدَ الذي جاءكَ من الْعلْم ما لَكَ من اللّه من وليٍّ ولا نصير} (سورة البقرة : ١٢٠) ، { ولَا تَتَّبعْ أَهواءهم عمَّا جاءكَ من الْحقِّ } سورة المائدة : ٤٨) ، {ولَو اتَّبع الْحقُّ أَهواءهم لَفَسدت السَّماوات والْأَرض ومن فيهنَّ } (سورة المؤمنون : ٧١)، {أَرأَيت من اتَّخذَ إلَههُ هواهُ أَفَأَنت تَكُونُ علَيه وكيلًا} (سورة الفرقان : ٤٣) .

وهذا ما دفع بعض العلماء إلى القول بأن الهوى مذموم على إطلاقه ،فقال بعضهم : "ما ذكر الله هوى في القرآن إلا ذمه" (١) وهذا

---

(١) تفسير القرطبي، ١٦ / ١٤٤.

القول منسوب إلى ابن عباس رضي الله عنهما ، وقيل: عن عامر الشعبي ، وقال ابن جري قال "كل هوى ضلالة." ، وقال ابن رجب الحنبلي فقال: "والمعروف في استعمال الهوى عند الإطلاق أنه الميل إلى خلاف الحق كما في قوله تعالى: { وَلا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ } (سورة ص: ٢٦) [(١)] ، يقول الجرجاني بقوله: "الهوَى: ميلان النَفس إلى ماتستلذه من الشهوات من غير داعية الشرع" [(٢)] .

لكن بعض المحققين من أمثال شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم كان لهم نظرة أخرى ترى أن الهوى لايذم بإطلاق ولا يحمد بإطلاق ، يقول ابن تيمية: "أصل الهوى هو محبة النفس، ويتبع ذلك بغضها"[(٣)] واتضحت هذه النظرة بتفصيل أكبر لدى ابن القيم في (روضة المحبين) حيث قال : "الهوى ميل الطبع إلى ما يلائمه وهذا الميل خلق في الإنسان لضرورة بقائه فإنه لولا ميله إلى المطعم والمشرب والمنكح ما أكل ولا شرب ولا نكح فالهوى مستحث لها لما يريده كما أن الغضب دافع عنه ما يؤذيه فلا ينبغي ذم الهوى مطلقا ولا مدحه مطلقا كما أن الغضب لا يذم مطلقا ولا يحمد مطلقا وإنما يذم المفرط من النوعين وهو ما زاد على جلب المنافع ودفع المضار ولما كان الغالب من مطيع هواه وشهوته وغضبه أنه لا يقف فيه على حد المنتفع به أطلق ذم الهوى والشهوة والغضب لعموم غلبة الضرر لأنه يندر من يقصد العدل في ذلك ويقف عنده .. فلذلك

---

(١) جامع العلوم والحكم ،ص ٣٤١ .
(٢) التعريفات، ص ٣٢٠ .
(٣) الاستقامة،(٢٢١/١) .

لم يذكر الله تعالى الهوى في كتابه إلا ذمه " [١].

ولم يستبعد ابن رجب في قول آخر له احتمال أن يكون للهوى مدخل إلى الحق : " وقد يطلق الهوى بمعنى المحبة والميل مطلقًا، فيدخل فيه الميل إلى الحق وغيره، وربما استعمل بمعنى محبة الحق خاصة، والانقياد إليه " [٢] .

والذي يقوى هذه النظرة ما ورد في القرآن ذاته حيث جاء النهي عن اتباع الهوى إذا كان مجافيا للهدى أو العلم ومن ذلك قوله تعالى : { وإِنَّ كَثيرا لَيُضلُّونَ بأَهْوائهم بغَيرِ علْم } (سورة الأنعام: ١١٩) وقوله : { ومَن أَضَلُّ ممَّنِ اتَّبع هواه بغَيرِ هُدىً مِّن الله } (سورة القصص : ٥٠).

قال البيضاوي في تفسير الآية " استفهام بمعنى النفي. بغَيرِ هُدى من الله في موضع الحال للتأكيد أو التقييد، فإن هوى النفس قد يوافق الحَق "[٣] ، وأكد الآلوسي هذا المعنى بقوله : وقيل (بغير هدى من الله) للاحتراز عما يكون فيه هدى منه تعالى، فإن الإنسان قد يتبع هواه ويوافق الحق[٤].

وفي بيان السنة نجد تقييد لفظة الهوى بما يضل منه ، ولهذا تخوف منه النبي صلى الله عليه وسلم على أمته في قوله :(إن مما أخشى عليكم شهوات الغي في بطونكم وفروجكم ومضلات الهوى) [٥] ، وهو صريح

(١) روضة المحبين ،ص ٤٦٩، و ذم الهوى ، ص ١٢ .
(٢) جامع العلوم والحكم ص٣٤١ .
(٣) أنوار التنزيل ، (٤/ ١٨٠)
(٤)روح المعاني ، (٢٠/ ٩٣)
(٥) أخرجه أحمد (٤٢٠/٤ رقم ١٩٧٨٨) . والبزار (٢٩٢/٩ رقم ٣٨٤٤) ، والطبرانى فى الصغير (٣٠٩/١ ، رقم ٥١١) قال المنذرى (١٠١/٣) : بعض أسانيدهم رجاله ثقات . وقال الهيثمى

فيما روي عن رسول الله ﷺ : (لا يُؤْمن أَحَدُكُمْ حَتَّى يَكُون هواهُ تبعًا لما جئْت به)[(١)] .

وَ ذكر الزركشي في قول الله تعالى : {ونهى النفس عن الهوى} أنها من باب إطْلاقُ الْهوى عن الْمهْويِّ ومنه: {ونهى النفس عن الهوى} أَي: عمَّا تهواه من الْمعَاصي ولا يصحُّ نَهْيُها عن هواها وهو ميْلُها ؛لأَنَّه تَكْليفٌ لما لا يُطَاقُ إلا علَى حَذْف مضَاف أَي نَهْيِ النَّفْس عن اتِّباع الْهوَى "[(٢)] .

وهذا فهم دقيق للنص ولحقيقة الهوى ، فالنهي عن الهوى إنما يكون في حالة ميل النفس لما يخالف الحق من شهواتها .

إذن المعيار فيما يحمد من الهوى هو ماوافق الشرع منه ولم يعارضه ، ولم يقدِّمه على الحق أو على محبة الله وسوله ، فإذا اختل ميزان القيم ، وقدم الهوى على الحق ، فهنا ينبغي مخالفة الهوى وعدم الانقياد له ، يقول ابن ر جب : "وجميع المعاصي تنشأ من تقديم هوى النفوس على محبة الله

(١٨٨/١) : رجاله رجال الصحيح لأن أبا الحكم البنانى الراوى عن أبى برزة بينه الطبرانى فقال عن أبى الحكم هو الحارث بن الحكم وقد روى له البخارى وأصحاب السنن . وأبو نعيم فى الحلية (٣٢/٢) ، والبيهقى فى الزهد الكبير (ص ١٦٤ ، رقم ٣٧١) .

(١) رواه الحكم بن سفيان في أربعينه (٩) ، وابن أبي عاصم في السنة (١٥) ، وعزاه النووي في (الأربعين) إلى كتاب (الحجة) لأبي الفتح نصر بن إبراهيم المقدسي ، كلهم من حديث عبد الله بن عمرو ، وصححه النووي؛وأعله ابنرجب في جامع العلوم والحكم ،وضعفه الألباني بنعيم بن حماد ، لكثرة خطئه.قلت : ونعيم وثقه أحمد ، وغيره ، وضعفه آخرون ؛ وقد تتبع ابن عدي في (الكامل) أحاديثه التي أخطأ فيها ؛ ولم يذكر هذا منها ، ثم قال : وأرجو أن يكون باقي حديثه مستقيمًا .ا.هـ . ومعناه صحيح ؛ وعزاه ابن حجر – رحمه الله – في (فتح الباري) لِلْحَسَن بْن سُفْيَان وَغَيْره عن أَبِي هُرَيْرَة رضي الله عنه ، ثم قال : وَرِجَاله ثِقَات ، وَقَدْ صَحَّحَهُ النَّوَوِي فِي آخِر الْأَرْبَعِينَ .

(٢) البرهان في علوم القرآن ، (٢/ ٢٩٨)

ورسوله ، وقد وصف الله المشركين باتِّباع الهوى في مواضع من كتابه ، وقال تعالى : ﴿ فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ ﴾ (القصص : ٥٠) ؛ وكذلك البدع ، إنَّما تنشأ من تقديم الهوى على الشَّرع ، ولهذا يسمى أهلُها أهل الأهواء . وكذلك المعاصي ، إنَّما تقع من تقديم الهوى على محبة الله ومحبة ما يحبه."[1]

فالهوى مجموعة الميول والغرائز النفسية التي تحرك الإنسان، وتحقق عنده مستوى من الإشباع لحاجاته في النمو والبقاء، والاتباع المنهي عنه هو الانجرار وراء تلك الميول وتجاوز الحدود الشرعية.

واتباع الهوى المذموم قد يكون في أمور الدين وقد يكون في شهوات الدنيا أو بعبارة أخرى قد يكون في الشبهات وقد يكون في الشهوات، وقد يكون في أمر مشترك بينهما .

وهوى الشبهة قد يوصل صاحبه إلى حد الابتداع في الدين وهو المراد في عامة كلام السلف حينما يتحدثون عن أهل الأهواء، فإنما يريدون بذلك أهل البدع .

قال الشاطبي – رحمه الله – : «ولذلك سمي أهل البدع أهل الأهواء، لأنهم اتبعوا أهواءهم فلم يأخذوا الأدلة الشرعية مأخذ الافتقار إليها، والتعويل عليها، حتى يصدروا عنها، بل قدموا أهواءهم، واعتمدوا على آرائهم، ثم جعلوا الأدلة الشرعية منظورا فيها من وراء ذلك»[2].

وأما هوى الشهوة فيكون في إشباعها بطرق حرمها الشرع ، وهذا

---

(١) جامع العلوم والحكم ، ص ٢٦٦

(٢) الاعتصام، ص ٦٨٤ .

يسوقه إلى مهاوي الفجور.

وإذا كان الهوى هو ميل الطبع إلى ما يلائمه. وهو بهذا المفهوم لا يكون مذموما على الإطلاق، فتكون فيه القسمة العقلية من الهوى المذموم، والهوى المحمود، وهو ما يشهد له قول الله تعالى: {وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ} (القصص: ٥٠)، فبين القرآن أن هناك هَدىً من الله، وهو الهوى المحمود، وأن هناك هوى بغير هدى من الله وهو المذموم

ولكن لما كان غالب الهوى ما يكون به الضرر على الإنسان، وأنه قل من الناس من يلتفت إلى مصلحة وجود الهوى مركبا في الإنسان، فالحكم – كما يقول الفقهاء – يدور مع الغالب وليس مع النادر، لذلك جاءت نصوص القرآن بذم الهوى، بل أبان الله تعالى أن الكثرة من الناس هي التي تتبع الهوى، وأن القلة هي التي تتبع الحق من ربهم، كما قال سبحانه: { وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ } (الأنعام: ١١٩).

ولصعوبة مجاهدة الإنسان هواه، فقد وعد الله تعالى صاحبه بالجنة أن تكون مستقره ومأواه، تشجيعا لخلقه على مخالفة أهوائهم، فقال تعالى: { وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى (٤٠) فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى (٤١)}
(النازعات: ٤٠ -٤١).

إن الهوى بما استودع من غرائز فطرية يعتبر من المحفزات الاساسية لتطور البشرية ، وبعث النشاط والحيوية في النفوس ا إلا أن مثلها -كما يعبر ابن القيم – كالنهر الجاري العاتي الذي يمكن أن يدمر المدن والقرى والأرياف حينما يتجاوز القنوات التي تعمل على تصريفه بالشكل المفيد.

فكما النهر الذي يعتبر عاملاً رئيسياً لسعادة الناس القائمة على ضفافه حينما لا يتجاوز حده كذلك الغرائز تمد الانسان بطاقة كبيرة حينما يتم الاستفادة منها بالشكل المعقول والسليم.

فالهوى أشبه بنهر متدفق، كما قال ابن القيم حين تحدث عن القوى الشهوية والغضبية في الإنسان، فقد شبهها بنهر جار في صببه ومنحدره، ومنته إلى تغريق أرض وعمران ودور. وأصحابها يعلمون أنه لا ينتهي حتى يخرب دورهم. ويتلف أراضيهم وأموالهم. فانقسموا ثلاث فرق، فرقة صرفت قواها وقوى أعمالها إلى سكره وحبسه وإيقافه، وفرقة فرامت قطعه من أصله. فتعذر عليها ذلك غاية التعذر، وأبت الطبيعة النهرية عليهم ذلك أشد الإباء.

فجاءت فرقة ثالثة، خالفت رأي الفرقتين. وعلموا أنهم قد ضاع عليهم كثير من مصالحهم. فأخذوا في صرف ذلك النهر عن مجراه المنتهي إلى العمران، فصرفوه إلى موضع ينتفعون بوصوله إليه. ولا يتضررون به. فصرفوه إلى أرض قابلة للنبات. وسقوها به. فأنبتت أنواع العشب والكلأ والثمار المختلفة الأصناف، فكانت هذه الفرقة هم أصوب الفرق في شأن هذا النهر، وهذا الاحتمال الأخير هو خير الاحتمالات وأحسنها واصوبها، وهكذا تكون سياسة النفس مع قواها الجارفة.(١)

فالهوى وهو العنصر الضروري للإنسان يتحول إلى عنصر مخرب ضار لوجوده إذا طغى، كذلك الهوى إن لم ينتظم ويجري بموجب ضوابط وحدود، وقوانين، يتحول إلى عنصر مفسد مهلك.

ونخلص من خلال هذا المبحث إلى أن الهوى ميول بشرية دافعة

---

(١) انظر : مدارج السالكين ، (٣١١/٢) .

للسلوك البشري، فإن مال إلى ما يخالف الشرع فهو الهوى المذموم، وإن مال إلى ما يوافق الشرع فهو الهوى الممدوح، الذي نقوده إلى الخير ولا ننقاد له حتى لا يسقط بنا في أوحال الفواحش والمعاصي .

المبحث الثاني

اتقاء الهوى في شرعة القرآن

تقودنا صحة الفرضية الأولى إلى الفرضية الثانية وهي أن شرعة القرآن تتجه أحكامها إلى ، ضبط هوى النفس في حد الاعتدال دون إفراط أو تفريط،والتحذير من الانقياد له دون علم أو هدي و باستعمال المصطلح الشرعي نقول : (اتقاء هوى النفس) .

الاتقاء في اللغة :

والاتقاء والتقوى مشتقّة من فعل "وقى" وهو بمعنى المحافظة على الشيءِ ، وجاء في تاج العروس : "وقاهُ : وَقْياً ووقَايَةً : وواقيةً صانَه،واتَّقَيْتُ الشَّيء :أَي حذرتُه " [١] ، والتقوى : الصيانة والحذر [٢] ، والتقوى من (وقى)، والواو، وَالقاف، والياء: كلمة واحدة تدل على دفع الشيء عن شيء بغيره،وقال الأصفهاني: "وقى: الوقاية حفظ الشيء مما يؤذيه ويضره، يقال: وقَيْتُ الشيء أقيه وقايةًوالتقوى جعل النفس في وقاية مما يخاف" [٣].

الاتقاء في الاصطلاح :

والتقوى في تعارف الشرع: حفظ النفس عما يؤثم، وذلك بترك المحظور [٤] ، واتقاء الهوى يقصد صيانته عن إشباع غرائز النفس بما

(١) تاج العروس من جواهر القاموس ، (٤٠/ ٢٢٧) .

(٢) القاموس المحيط ص ١٧٣١ .

(٣) مفردات ألفاظ القرآن ،مادة وقى، ص٨٨١ .

(٤) نفس المصدر ، مادة وقى، ص٨٨١ .

يخالف العقل والشرع .

ويتحقق هذا الاتقاء بالنهي عن اتباع الهوى ، من غير تحكيم العقل، أو رجوع إلى شرع، أو تقدير لعاقبه [١]، قال سبحانه : {ومن أَضَلُّ ممَّن اتَّبع هواه بغير هدى من الله} (القصص: ٥٠) ، فالقرآن يحكم بضلال من (اتَّبع هواه بغير هدى مِّن الله) ، وهذا يعني أن اتباع الهوى الموافق لهدى الله أمر محمود حيث يستفاد من قوة الدوافع الفطرية في اتجاه السلوك الصالح .

وهذا ما يمضي عليه بيان السنة :" إن الدُّنْيا حلْوةٌ خضرةٌ، فَمنْ أَخذَها بحقِّها بارِكَ اللّه لَه فيها، وربَّ متخوِّض فيما اشتهت نفسه ليس له يوم القيامة إلاَّ النَّار " [٢].

فاتِقاء الهوى يحفظ النفس من شرور عدة منها :

١- الاستكبار، يقول تعالى: {أَفكُلَّما جاءكُم رسولٌ بما لا تهوى أَنفُسكُم استكْبرتم ففريقاً كذَّبتم وفريقاً تقْتلُونَ} (البقرة: ٨٧).

٢- تكذيب دعوة الحق، يقول تعالى: {كُلَّما جاءهم رسولٌ بما لا تهوى أَنفُسهم فَريقاً كذَّبوا وفَريقاً يقْتلُونَ} (المائدة: ٧٠) وذلك لأنهم يريدون أن يطوِّعوا الدعاة إلى الله وفق أهواءهم ومشتهياتهم .

٣- الضلال عن سبيل الله: قوله تعالى: {ولا تَتَّبعِ الْهوى فَيضلَّك عن سبيل الله}، (ص: ٢٦) .

٤- الفساد الكوني كما في قوله تعالى: {ولَو اتَّبع الْحقُّ أَهواءهم لَفسدت السَّماوات والأَرض ومن فيهنَّ بل أَتيناهم بذكْرهم فَهم عن ذكْرهم

---

(١) آفات على الطريق، (٢/ ٣٣) .

(٢) المعجم الكبير (٢٤/ ٢٢٨) ، انظر حديث رقم : ٣٤١٠ في صحيح الجامع .

مُعْرِضُونَ} (المؤمنون: ٧١) ظلم العباد وانتقاص حقوق الآخرين قال تعالى : {يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُونُواْ قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاء لِلّهِ وَلَوْ عَلَى أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقَيرًا فَاللّهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلاَ تَتَّبِعُواْ الْهَوَى أَن تَعْدِلُواْ وَإِن تَلْوُواْ أَوْ تُعْرِضُواْ فَإِنَّ اللّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا} (سورة النساء : ١٣٥).

٥- العبودية للهوى، قال يقول تعالى : {أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلاً} (الفرقان:٤٣) فإذا قوي الهوى واستحكم، فإن العاطفة عندئذ تكون سائدة فيكون لها السلطان الأقوى على إرادات القلب وعواطفه، بل وتعقله، فيصبح هذا الهوى موجها لقلبه، له يوالي وعليه يعادي، وله ينفعل ويثور، ولأمره يأتمر، ولنهيه ينتهي، فيكون ذلك المحبوب الذي توجهت له تلك العاطفة ندًّا لله، يحبه الحب الذي لا ينبغي إلا لله، فقد اتخذه إلها من دون الله ، ، ولذا جعل الله متبع هواه في مخالفته بمنزلة عابد وثن، وسمى ذلك الهوى المتَّبع إلها.

والهوى في حالة انفصاله عن الهدى ما يقع في شيء إلا أفسده ،يقول ابن القيم – فإن وقع في العلم أخرجه إلى البدعة والضلالة وإن وقع في الزهد أخرج صاحبه إلى الرياء ومخالفة السنة، وإن وقع في الحُكْم أخرج صاحبه إلى الظلم وصده عن الحق [1].

تدابير شرعة القرآن في اتقاء الهوى :

قدم الاسلام تشريعات واضحة للتعامل مع الغرائز من منطلق الاعتراف بها ، مع وضع الضوابط التي تصونها عن طرق الإشباع المحرمة ،

---

(١) روضة المحبين (١ / ٤٧٤)

و جاء أمر القرآن بتحكيم شرعة الله في سياق النهي عن اتباع الأهواء ، قال تعالى : {وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ} (سورة المائدة : ٤٨)، والشرعة القرآنية تعزز اتقاء الهوى من خلال التدابير والأحكام التالية :

١ - الإبدال أو التعويض :

وهذا المنهج يتضح في مبدأ الإبدال أو التعويض الذي يعني أن الإسلام عوضها عما حرمه عليها من من مشتهياتها بما شرعه لها من الطيبات ، وحين يتأمل المسلم الهدي الربَّاني في القرآن الكريم يجد أنّ الله – سبحانه وتعالى –

ما حرَّم على عباده شيئاً إلاّ وأبدلهم عوضاً عنه ما هو خير منه ، كما قال تعالى : { وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ } (سورة الأعراف :١٥٧) ، وبين النبي – صلى الله عليه وسلم – هذا المعنى في قوله : وفي بُضْعِ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ" ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيَأْتِي أَحَدُنَا شَهْوَتَهُ وَيَكُونُ لَهُ فِيهَا أَجْرٌ؟ ، قَالَ: "أَرَأَيْتُمْ لَوْ وَضَعَهَا فِي حَرَامٍ أَكَانَ عَلَيْهِ فِيهَا وِزْرٌ؟ فَكَذَلِكَ إِذَا وَضَعَهَا فِي الْحَلَالِ كَانَ لَهُ أَجْرٌ" [(١)]

وقد أفاض العلامة ابن القيم فقال –رحمه الله– في بيان مبدأ التعويض بقوله : " إذا كانت الدولة للعقل سالمة الهوى، وكان من خدمه وأتباعه، كما أن الدولة إذا كانت للهوى، صار العقل في يديه، محكوما عليه،

(١) صحيح مسلم (٢/ ٦٩٧)

ولما كان العبد لا ينفك عن الهوى ما دام حيًّا –فإن هواه لازم له– كان الأمر بخروجه عن الهوى بالكلية كالممتنع، ولكن المقدور له والمأمور به أن يصرف هواه عن مراتع الهلكة إلى مواطن الأمن والسلامة، فما حرم الله على عباده شيئا إلا عوضهم خيرا منه، كما حرم عليهم الاستقسام بالأزلام، وعوضهم عنه دعاء الاستخارة، وحرم عليهم الربا، وعوضهم منه التجارة الرابحة، .. وحرم عليهم الزنا واللواط، وأعاضهم منهما بالنكاح والتسري بصنوف النساء الحسان، وحرم عليهم شرب المسكر، وأعاضهم عنه بالأشربة اللذيذة النافعة للروح والبدن ..، وحرم عليهم الخبائث من المطعومات، وأعاضهم منها بالمطاعم الطيبة. ومن تلمح هذا وتأمله هان عليه ترك الهوى المردي، واعتاض عنه بالنافع المجدي ..." [١].

ومنهج النبوة لا يكتفي بالنهي عن الشرور بل يدل الناس على الخير في دينهم ودنياهموفي الحديث :(ما بعث الله من نبى إلاّ كان حقًّا عليه أن يدلّ أمَّته على خير ما يعلمه لهم ، وينهاهم عن شر ما يعلمه لهم) [٢] .

وفقه البديل مما تميز به شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله إذ يقول : (إذا كانت في البدعة من الخير فعوِّض عنه من الخير المشروع بحسب الإمكان، إذ النف وس لا تترك شيئاً إلاّ بشيء...فالنفوس خلقت لتعمل لا لتترك، وإنّما الترك مقصود لغيره) [٣].

٢ - الدعوة إلى تجنب الإسراف :

حرص القرآن على توخى الاعتدال في الاستمتاع بالمباحات دون

---

(١) روضة المحبين ونزهة المشتاقين، ص١٢

(٢) صحيح مسلم ، (٣/ ١٤٧٢).

(٣) اقتضاء الصراط المستقيم ، (١٢٥/٢)

سرف أو تبذير ، و"السَّرف والإسراف مجاوزة القَصد، وأسرف في ماله: عجَّل من غير قصد، وأما السَّرف الذي نَهى الله عنه، فهو ما أُنْفق في غير طاعة الله، قليلا كان أم كثيرا، والإسراف في النفقة التبذير... وقيل: هو مُجاوزة القصد في الأكل ممَّا أحلّه الله"(١) ، وعليه قال الحافظ ابن حجر هو: "مجاوزة الحدِّ في كلِّ فعل أو قول "(٢) ، وفرق بعض العلماء بين السرف والتبذير بقوله : " السَّرف والتبذير قد يفترق معناهما، فالسَّرف: هو الجهل بمقادير الحقوق، والتبذير: هو الجهل بمواقع الحقوق، وكِلاهما مذموم، وَذَمُّ التبذير أعظم؛ لأن المسرف يخطئ في الزِّيادة، والمبذِّر يَخطئ في الجهل"(٣)

وفي النهي عن الإسراف جاء قال تعالى { وَكُلُواْ وَاشْرَبُواْ وَلاَ تُسْرِفُواْ إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ} (سورة الأعراف : ٣١)، وهذا بعد أن أباح لهم الطيبات من المطاعم والمشارب .

وقال تعالى مادحا عباده المقتصدين: ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا ﴾ (الفرقان: ٦٧) ، وخير الأمور أوسطها (٤) .

وفي الحديث : (كُلُوا، وَاشْرَبُوا، وَتَصَدَّقُوا، وَالْبَسُوا، غَيْرَ مَخِيلَةٍ، وَلَا سَرَفٍ) (٥).

(١) انظر: لسان العرب ، مادة بذر. (٩/ ١٤٨) .
(٢) انظر :فَتْح الباري بشرح صحيح البخاري ، كتاب اللباس، (١٦/ ٣٢٣).
(٣) أدب الدُّنيا والدين ، ص ٢٩٩ .
(٤) تفسير ابن كثير ، (٣/ ٣٢٥) .
(٥) مسند أحمد (١١/ ٢٩٤) ، انظر حديث رقم : ٤٥٠٥ في صحيح الجامع .

٣- تمرين النفس على تقوية الإرادة في العبادات :

من خلال شعائر العبادات ، يتم تهذيب الغرائز ، وأوضح ما يكون هذا فيعبادة الصوم ؛فالامتناع الاختياري عن بعض مشتهيات النفس لفترة زمنية يدعم الإرادة الذاتية في ضبط الذات وهو ما يحدث في عبادة الصيام التي تعمل على تربية الإرادة من خلال تأجيل الإشباع للحاجات العضوية.

فالصيام يمنح الإنسان تدريبا عاليا وقدرة فائقة على التحكم في المثيرات المتعلقة بالرغبات أو الشهوات ، فيتقي السقوط فيما لا يحل له منها قال تعالي : {يا أَيُّهَا الَّذين آمَنواْ كُتب عَلَيْكُم الصِّيامُ كَما كُتب عَلَى الَّذين م ن قَبْلكُم لَعَلَّكُم تَتَّقُونَ} (سورة البَقرة : ١٨٣)

وفي عبادة الصلاة، تربيةى لإرادة الفعل الخير في توقيت يومي ، مما يعين النفس عن توقي المعاصي ، قال تعالى : {اتْلُ ما أُوحي إِلَيْكَ من الْكتَاب وأَقم الصَّلاةَ إِنَّ الصَّلاةَ تنهى عن الْفَحشاء والْمنكَرِ ولَذكْر اللَّه أَكْبر واللَّه يعلَم ما تصنعونَ} (سورة العنكبوت : ٤٥).

ولذلك ارتبط إضاعة الصلاة باتباع الشهوات في قوله تعالى : {فَخَلَفَ من بعدهم خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ واتَّبعوا الشَّهوات فَسوفَ يلْقَون غَيًّا } (سورة مريمَ: ٥٩).

وعبادة الزكاة فيها بذل وعطاء يقاوم شهوة المال، ويطهرها من داء الشح : {خُذْ من أَموالهم صدقَةً تُطَهِّرهم وتُزَكِّيهِم بها وصلِّ علَيهِم إِنَّ صلاَتك سكَن لَّهم واللّه سميع عليم} (سورة التوبة : ١٠٣).

وفي شعائر الحج ، رحلة تهذيب وتغيير للنفس كما قال تعالى: {الْحَجُّ أَشْهُر مَّعْلُومَاتٌ فَمن فَرض فيهنَّ الْحَجَّ فَلاَ رفَثَ ولاَ فُسوقَ ولاَ جدالَ في الْحجِّ وما تَفْعلُواْ من خير يعلَمه اللّه وتَزَوَّدواْ فَإِنَّ خير الزَّاد التَّقْوى واتَّقُون يا أُولي الأَلْباب} (سورة البقرة : ١٩٧).

٤ - **تحريم الرهبانية المؤدية إلى كبت الفطرة :**

نهى الإسلام عن أسلوب الرهبانية الذي يقمع الشهوات اويكبت ميول النفس ،فلم يحرِّم على الإنسان التمتع بلذائذ الحياة وتصريف الطاقات ، وإنما وجهها وهذبها ، ووضع لها الحدود والضوابط ؛ لتحفظ للإنسان توازنه.

ويدل على ذلك هذا الموقف الذي يرويه أَنَس بْن مَالِك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ جاء ثَلَاثَةُ رَهْطٍ إِلَى بيوت أَزْوَاجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْأَلُونَ عَنْ عِبَادَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَمَّا أُخْبِرُوا كَأَنَّهُمْ تَقَالُّوهَا فَقَالُوا وَأَيْنَ نَحْنُ مِنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وما تَأَخَّرَ قَالَ أَحَدُهُمْ أَمَّا أَنَا فَإِنِّي أُصَلِّي اللَّيْلَ أَبَدًا وَقَالَ آخَرُ أَنَا أَصُومُ الدَّهْرَ وَلَا أُفْطِرُ وَقَالَ آخَرُ أَنَا أَعْتَزِلُ النِّسَاءَ فَلَا أَتَزَوَّجُ أَبَدًا فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَيْهِمْ فَقَالَ أَنْتُمْ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لَأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ وَأَتْقَاكُمْ لَهُ لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي) [(١)] .

ويعلق الشيخ الألباني رحمه الله على موقف هؤلاء الثلاثة بقوله : "إنهم كانوا يتوهمون أن التقرب إلى الله تبارك وتعالى إنما يكون بالترهب أي: بأن ينذر المسلم نفسه لعبادة الله فقط ولا يهتم بشيء من أمور الدنيا، لا يهتم بشيء يتعلق بنسائه وأولاده، هكذا هم تصوروا. وهذا بلا شك تصور مخالف للإسلام الذي من أقواله عليه الصلاة والسلام: «لا رهبانية في الإسلام» [(٢)]،، وقد أورد رحمه الله حديثا آخر في وهو : " تزوجوا فإني

(١) صحيح البخاري (٧/ ٢)

(٢) موسوعة الألباني في العقيدة (٢/ ١١١) ، والحديث الذي أورده الألباني في ثبوته مقال ، قال الحافظ

مكاثر بكم الأمم يوم القيامة ، و لا تكونوا كرهبانية النصارى " [(١)].

ومن الخطأ الاعتقاد أن الإسلام دعا إلى قمع الهوى و شهوات النفس ، وهذا ما فنده الإمام الغزالي بقوله:" هذا غلط وقع لطائفة ظنوا أن المقصود من المجاهدة قمع هذه الصفات بالكلية ومحوها وهيهات فإن الشهوة خلقت لفائدة وهي ضرورية في الجبلة، فلو انقطعت شهوة الطعام لهلك الإنسان، ولو انقطعت شهوة الوقاع لانقطع النسل، ولو انعدم الغضب بالكلية لم يدفع الإنسان عن نفسه ما يهلكه ولهلك. ومهما بقي أصل الشهوة فيبقى لا محالة حب المال الذي يوصله إلى الشهوة حتى يحمله ذلك على إمساك المال " [(٢)]، ولهذا، فإن المطلوب ليس إماطة ذلك بالكلية، " بل المطلوب ردها إلى الاعتدال الذي هو وسط بين الإفراط والتفريط" [(٣)].

وهكذا تبين صحة الفرضية الثانية وهي أن القرآن دعانا في شرعته إلى اتقاء الأهواء من خلال الانتفاع من قوة دوافعه في فعل الخيرات ، مع الظفر بسلامة الدين والعقل والعرض والمال والجاه وتحرير للإرادة الإنسانية من أن تسترقها رغبات صغيرة ، ولم تكن شرعته هي الاستئصال والكبت لهوى النفس.

بن حجر في الفتح " أما حديث " لا رهبانية في الإسلام " فلم أره بهذا اللفظ ، لكن في حديث سعد بن أبي وقاص (كذا قال ، وهو من حديث سعيد فلعله وهم رحمه الله) ، " إن الله أبدلنا بالرهبانية ... الحديث " ... الخ كلامه رحمه الله انظر : فتح الباري ١/٩

(١) قال الألباني في " السلسلة الصحيحة " ٤ / ٣٨٥ : أخرجه البيهقي في " السنن الكبرى " (٧ / ٧٨) من طريق ابن عدي ، و هذا في " الكامل " (ق ٣٢٩ / ١) عن محمد بن ثابت البصري عن أبي غالب عن أبي أمامة مرفوعا.

(٢) الإحياء ، (٥٨/٣) .

(٣) نفس المصدر، (٥٨/٣).

المبحث الثالث

أسس اتقاء الهوى في منهاج القرآن

تذهب الفرضية الثالثة للبحث إلى أن القرآن يتضمن منهاجا واضح المعالم لاتقاء هوى النفس يرتكز على أسس عقدية وفكرية ووجدانية وسلوكية و مجتمعية .

إن اهتمام البحث بسؤال المنهج ينطلق من أن التعامل مع الهوى البشري لا يقتصر على أحكام تكليفية لضبطه واتقائه ، بل لابد من بيان طريقة واضحة للوصول إلى هذا الهدف تخاطب وجدان المتلقي وفكره .

فما هو هذا المنهاج وما أسس اتقاء الهوى فيه ؟

المنهاج في اللغة :

يقول ابن منظور : نهج طريق نهج : بين واضح ، وهو النهج ، وطرق نهجه ، وسبيل منهج : كنهج . ومنهج الطريق : وضحه ، والمنهاج كالمنهج ، وأنهج الطريق : وضح واستبان وصار نهجاً واضحاً بيناً ، والمنهاج: الطريق الواضح. و استنهج الطريق : صار نهجاً ، ونهجت الطريق : أبنته وأوضحته ، ونهجت الطريق : سلكته . وفلان يستنهج سبيل فلان ، أي يسلك مسلكه .والنهج : الطريق المستقيم . [١] ،و في مختار الصحاح / المنهاج : الطريق الواضح ونهج الطريق أبانه وأوضحه ونهجه أيضاً سلكه . [٢] ، وكذلك قال الأصفهاني في مفرداته "نهج :النهج الطريق الواضح ونهج الأمر وأنهج وضح ومنهج الطريق ومنهاجه " [٣].

وانطلق المفسرون من الدلالة اللغوية لبيان معنى المنهاج فيقول

---

(١) لسان العرب ، (٢/ ٣٨٣) .

(٢) مختار الصحاح ، ص٧٦ .

(٣) المفردات في غريب القرآن ص ٥٠٩.

ابن كثير : المنهاج هو الطريق الواضح السهل والسنن: الطرائق، فتفسير قوله: { شرعةً ومنهاجا } بالسبيل والسنة أظهر[(١)].

وَقال الطبري : معنى الكلام: لكل قوم منكم جعلنا طريقًا إلى الحق يؤمُّه، وسبيلا واضحا يعمل به[(٢)] ، وهذا ما يتضح أيضا في قول العباس رضي الله عنه : (والله ما مات رسول الله ﷺ حتى ترك السبيل نهجاً واضحاً) [(٣)].

المنهاج في الاصطلاح :

والمنهاج في الاصطلاح هو " مجموعة الركائز والأسس المهمة التي توضح مسلك الفرد أو المجتمع أو الأمة لتحقيق الآثار التي يصبو إليها كل منهم "[(٤)] ، ونقصد بالمنهاج في مصطلح البحث مجموعة الركائز والأسس التي توضح سبل تمكين الفرد من اتقاء هوى النفس.

أسس المنهج :

أرسى القرآن الكريم أسس منهج لاتقاء الهوى داخل النفس ، ويؤثر كل منها في الآخر ، فالعقيدة تؤثر في الفكر والفكر بدوره يؤثر في العاطفة ، والعاطفة تحرك السلوك من خلال جهد يقاوم نزغات الشر ، ويقود إلى الخير ، و هناك أساس خارج النفس يتمثل في البيئة الاجتماعية التي يحيا فيها الفرد بما توفره من تنشئة وتوجيه يعزز القدرة في اتقاء هوى النفس، ونفصل تلك الأسس فيما يلي :

١- الأساس العقدي .

٢- الأساس الفكري .

---

(١) تفسير ابن كثير (٣/ ١٢٩) .

(٢) تفسير الطبري (١٠/ ٣٨٤) .

(٣) سنن الدارمي ،ص . ٢٢٠ / ٢٢١ .

(٤) مجلة البحوث الإسلامية-عدد،٥٨،ص٣٠٠ .

٣- الأساس العاطفي .
٤- الأساس السلوكي .
٥- الأساس المجتمعي .

١ـ الأساس العقدي .

تعد العقيدة هي الأساس الأصيل في المنهج القرآني لكل شرائع الإسلام ، وهي العامل الروحي الأصيل في اتقاء الهوى ، فبمقدار ما لدى الفرد من بينة بربه يكون أقدر على اتقاء أهوائه كما قال تعالى: {أَفَمن كَانَ عَلَى بيِّنَة مِّن رَّبِّه كَمن زُيِّنَ لَه سوء عَمله واتَّبعوا أَهْواءهم} (سورة محمد : ١٤)

فقوله تعالى ذكره:(أَفَمَنْ كَانَ) على برهان وحجة وبيان(منْ) أمر (ربِّه) والعلم بوحدانيته، فهو يعبده على بصيرة منه، بأن له ربًّا يجَازيه على طاعته إياه الجنة، وعلى إساءته ومعصيته إياه النار ،(كَمن زُيِّنَ لَه سوء عَمله) يقول: كمن حسَّن له الشيطان قبيح عمله وسيئه، فأراه جميلا فهو عَلَى العمل به مقيم ،(واتَّبعوا أَهْواءهم) يقول: واتبعوا ما دعتهم إليه أنفسهم من معصية الله، وعبادة الأوثان من غير أن يكون عندهم بما يعملون من ذلك برهان وحجة[١].

فالعقيدة تحدد الغاية والمصير ، فلم يخْلق الإنسان عبثا، ولم يترك سدى ،قال تعالى : {أَفَحسبتُمْ أَنَّما خَلَقْنَاكُمْ عبثًا وأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرجعونَ} (سورة المؤمنون : ١١٥) ، ومعتقد التوحيد يهدى الإنسَان إلى الانقياد لربه دو ن هواه ، كما قال تعالى : {قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبدَ الَّذين تَدْعونَ من

(١) تفسير الطبري (٢٢/ ١٦٥) .

دُون اللّه قُل لاَّ أَتَّبِع أَهْوَاءكُمْ قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَا أَنَاْ مِنَ الْمُهْتَدِينَ} (سورة الأنعام: ٥٦)

يقول الرازي :"ذَكَر فِي هَذِه الْآيَة أَنَّهُ تَعالَى نَهى عَنِ سُلُوك سبيلهم. فَقَالَ: قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبد الَّذَين تدْعُونَ من دُون الله وبيَّن أَنَّ الَّذَين يعبدُونها إنَّما يعبدونها بناء علَى محضِ الْهوَى والتَّقْليد، لَا علَى سَبيل الحجة واَلدليل"[1]

و الإيمان بالآخرة ينبي الوازع الداخلي الذي يحول دون الانسياق خلف الأهواء التي لا تحل لصاحبها ، قال تعالى : { ولاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاء الَّذِين كَذَّبُواْ بِآيَاتنَا وَالَّذِين لاَ يُؤْمنُونَ بِالآخِرة وَهُم بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ} (سورة الأنعام : ١٥٠) فالآية تقول للنبي –صَلىَ الله عليهَ وَسلم –وَلكل من آمن به : " ولا تتبع أهواء الذين لا يؤمنون بالآخرة، فتكذب بما هم به مكذبون من إحياء الله خلقه بعد مماتهم، ونشره إياهم بعد فنائهم "[2]، وكذلك في قوله تعالى : {إِنَّ السَّاعَةَ ءاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتجزى كُلُّ نَفْس بِمَا تَسعى فَلاَ يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَن لاَ يُؤْمِن بِهَا وَاتَّبَع هَوَاهُ فَتَرْدَى} (سورة طه : ١٥-١٦)

ومن خلال الإيمان الراسخ بالله واليوم الآخر تقوى مراقبة العبد ربه ، وتنشط عزيمته فلا يقع في الغفلات التي تضعفه أمام أهوائه .

٢-الأساس المعرفي:

يعنى هذا الأساس بتزويد العقل بالمعرفة الضرورية التي تمكنه من

(١) تفسير الرازي ،(١٣/ ٨) .

(٢) تفسير الطبري (١٢/ ٢١٤).

القيام بدوره في ضبط الهوى البشري ، ، فهو يعقله عن الانطلاق في غير رشد .

يقول الماوردي : "ولما كان الهوى غالباً، وإلى سبيل المهالك مورداً، جعل العقل عليه رقيباً، يلاحظ عثرة غفلته، ويدفع بادرة سطوته " [(١)].

ومن آثار العقل في مقاومة الشهوات المحرمة التفكر في العواقب ، ولذا قال ابن الجوزي : "من نازعته نفسه إلى لذة محرمة فشغله نظره إليها عن تأمل عواقبها وعقابها وسمع هتاف العقل يناديه : ويحكَ ... لا تفعل! فلم يلتفت إلى ما قيل له)[(٢)].

و العقل من عطاء التكريم للإنسان كما قال الحكيم الترمذي : " العقل ما أكرم الله به العباد وضده الهوى " [(٣)] ، لكن الخلاف بينه وبين الهوي ليس اختلاف تضاد ؛ ولكنه اختلاف تكاملي ، بين جهاز التوجيه ومصادر الطاقة المتمثلة في غرائز الهوى .

ومن أجمل ما قيلفي اجتماع الهوى والعقل ما ذكره الرازي في تفسيره : " معْرِفَةَ اللَّه تَعالَى مِمَّا يُرِيدُها الْهوى والْعَقْلُ، فَصارَتْ جَنَّةً مطْلَقَةً"[(٤)].

وحذر القرآن إلى من الافتقار إلى المعرفة الهادية التي تجعل الهوى ينزلق إلى مسارات الغواية ، ويتضح ذلك في قوله تعالى : {بلِ اتَّبع الَّذين ظَلَموا أَهْواءهُم بغيرِ علْمٍ فَمن يهدي من أَضلَّ اللَّهُ وما لَهم مِّن نَّاصرِين}(

(١) أدب الدنيا والدين،ص ٣٨

(٢) صيد الخاطر ،ص١٢٦

(٣) العقل والهوى ، ص ١

(٤) تفسير الرازي ، (٣٢/ ٣٥٩)

سورة الروم : ٢٩) ، و قوله تعالى : { وإنَّ كَثيرا ليُضلُّونَ بأَهْوائهم بغَيْر علْم إنَّ ربَّكَ هو أَعْلَم بالْمعتدين} (سورة الأنعام : ١١٩).

وقوله تعالَى : {ثُمَّ جعلْناكَ علَى شريعة مِّن الْأَمْر فاتَّبعْها ولا تَتَّبعْ أَهْواء الَّذين لا يعلَمون}(سورة الجاثية : ١٨).

قَوله تعالى {وكَذَ لكَ أَنزلْناهُ حكْما عربيًّا ولَئن اتَّبعْت أَهْواءهُم بعْد ما جاءكَ من الْعلْم ما لَكَ منَ اللَّه من وليٍّ ولا واق} (سورة الرعد : ٣٧).

فاتباعَ العلم منَ صريحَ حكمَة القرآن ً، كما قال تعالى : {ولاَ تَقْفُ ما لَيْس لَكَ به ع لْمٌ إنَّ السَّمع والْبصر والْفُؤاد كُلُّ أُولئكَ كانَ عنهُ مسؤُولاً} (الإسراء : ٣٦)، ولاَ تقف ولا تتبع من قفا أثره إذا تبعَه وقرئ ، ولا تقف ، من قاف أثره ، أي قفاه[1] .

وفالمراد من قوله تعالى: وَلا تَقْفُ ما لَيْسَ لَكَ به علْمٌ ألا يحكم الإنسان على الأشياء حكما غير صحيح، أو يعتمد على معلومات لا دليل عليها. وهذا يشمل المشركين الذين يعتقدون اعتقادا فاسدا في الإله أو النبي أو الآباء والأجداد، ويتبعون الهوى[2].

والفكر يقود إلى الدليل الذي يقى من اتباع الهوى بغير بينة { ومن أَضَلُّ ممَّ ن اتَّبع هواهُ بغَيْرِ هُدًى من اللهِ } أي: بغير حجة مأخوذة من كتاب الله [3].

(١) تفسير أبي السعود ، (٥/ ١٧١)
(٢) التفسير الوسيط للزحيلي، (٢/ ١٣٤٨)
(٣) تفسير ابن كثير ، (٦/ ٢٤٣)

كما أن تعطيل العقل وإيثار تقليد أصحاب الأهواء سبيل إلى الضلال ، وهو ما أنكره القرآن على الكتابيين : {قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لاَ تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلاَ تَتَّبِعُواْ أَهْوَاء قَوْمٍ قَدْ ضَلُّواْ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيراً وَضَلُّواْ عَن سَوَاء السَّبِيلِ} (سورة المائدة :٧٧).

يقول البغوي : { ولا تتبعوا أهواء قوم } والأهواء جمع الهوى وهو ما تدعو إليه شهوة النفس { قد ضلوا من قبل } يعني: رؤساء الضلالة من فريقي اليهود والنصارى، والخطاب للذين في عصر النبي صلى الله عليه وسلم نهوا عن اتباع أسلافهم فيما ابتدعوه بأهوائهم " (١).

ولا يغيب عن البال أن الشيطان يجد في هوى النفس مدخلا فيزين لها شهواتها التي لا تحل ، ،قال تعالى : {أَفَمَن كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ كَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءهُمْ} (سورة محمد: ١٤).

فالأفكار التي تدور في الذهن لها تأثيرها في سلوك الإنسان ، يقول ابن القيم : "مبدأ كل علم نظري وعمل اختياري هو الخواطر والأفكار فإنها توجب التصورات والتصورات تدعو إلى الإرادات والإرادات تقتضي وقوع الفعل وكثرة تكراره تعطي العادة ، فصلاح هذه المراتب بصلاح الخواطر والأفكار وفسادها بفسادها " (٢)

ويفصل ابن القيم هذا المبدأ بقوله : "اعلم أن الخاطرات والوساوس تؤدي متعلقاتها إلى الفكر فيأخذها الفكر فيؤديها إلى التذكر فيأخذها الذكر فيؤديها إلى الإرادة فتأخذها الإرادة فتؤديها إلى الجوارح والعمل فتستحكم فتصير عادة فردها من مبادئها أسهل من قطعها بعد قوتها وتمامها ومعلوم أنه

(١) تفسير البغوي ، (٣/ ٨٣) .

(٢) الفوائد ص ١٧٣ .

لم يُعْطِ الْإِنْسَان إماتة الخواطر وَلَا الْقُوَّة على قطعها فَإِنَّهَا تهجم عَلَيْهِ هجوم النَّفس إِلَّا أَن قُوَّة الْإِيمَان والْعقل تعينه على قبُول أحسنها وَرضَاهُ بِهِ ومساكنته لَهُ وعَلى رفع أقبحها وكراهته لَهُ نفرته مِنْهُ" [1]

لابد أن يظل للعقل دوره في قياد الهوى ، دون خضوع له "وكل من له مسكة من عقل يعلم أن فساد العالم وخرابه إنما نشأ من تقديم الرأي على الوحي، والهوى على العقل، وما استحكم هذان الأصلان الفاسدان في قلب إلا استحكم هلاكه، وفي أمة إلا وفسد أمرها أتم الفساد" [2].

٣ -الأساس العاطفي :

العاطفة في اللغة فيها معنى الميل والإشفاق كما قال ابن فارس: عطف فلان: مال، وعطفت الوسادة: ثنيتها، وعطفت عليه: أشفقت [3] ،

وقال ابن منظور: " يقال: عَطَفَ فلان إلى ناحية كذا يَعْطِفُ عَطْفاً: إذا مال إليه وانعطف نحوه " [4].

وهي تعني اصطلاحا " تنظيم وجداني مكتسب، أو استعداد ثابت نسبياً، ومركب من عدة انفعالات تدور وتتبلور حول موضوع معين، أوهي استعداد أو ميل عاطفي يدور حول فكرة معينة" [5].

فالعاطفة يمكن تنظيمها بالشكل الذي يعين على ضبط الهوى وفق مراد الشرع ، من خلال ربطها بالأساسين العقدى والمعرفي ، فأشار القرآن

---

(١) الفوائد، ص١٧٤.

(٢) إعلام الموقعين، (٧٢/١) .

(٣) مجمل اللغة، (٦٧٤/٤)، .

(٤) لسان العرب، (٢٤٩/٩)

(٥) سيكولوجية الدافعية والانفعالات ، ص٢٢٨ .

إلى أن شعور الخشية من الله تعين صاحبها على أن ينهاها عن الهوى المخالفِ لشرعِ الله { وأَمَّا من خافَ مقام ربِّه ونهى النَّفْس عن الْهوى*فإِنَّ الْجنَّةَ هي الْمأْوى} (سورة النازعات : ٤٠ – ٤١) ، ولما كان الخوف من الله هو السبب المعين لدفع الهوى ، لا جرم قدم العلة على المعلول [١] ، قال إبراهيم بن أدهم : " الهوى يردي، وخوف الله يشفي، واعلم أنَّ ما يزيل عن قلبك هواك أن تخاف من تعلَم أنه يراك" [٢] .

كما دعا القرآن الكريم إلى تقديم محاب الله على سائر محاب النفس كما في قوله تعالى : {قُلْ إِن كَانَ آباؤُكُم وأَبنَآؤُكُم وإِخْوانُكُم وأَزْواجكُم وعشيرتُكُم وأَموالٌ اقْترفْتموها وتجارةٌ تخْشون كَسادها ومساكن ترضونها أَحبَّ إِلَيْكُم مِّن اللّه ورسوله وجِهاد في سبيله فَتربَّصواْ حتَّى يأْتي اللّهُ بأَمره واللّهُ لاَ يهدي الْقَوم الْفَاسقين} (سورة التوبة : ٢٤) فدرجة محبة اللهَ في قلب المؤمنين تعلو أي درجة سواها :

{ والَّذين آمنواْ أَشَدُّ حبًّا لِّلّه } (سورة البقرة : ١٦٥).

وعندما تكون خشيَة الله ومحبته هي العاطفة السائدة في وجدان المؤمن ، فإن الهوى ينقاد لها فيما يرضي الله عز وجل ، والعاطفة السائدة – كما يعرِّفها علماء النفس– هي تلك العاطفة التي تكون لدى شخص ما فتسيطر على ما لديه من عواطف أخرى، وتكون موجِّهة لسلوكه، فقد تكون العاطفة السائدة لدى شخص ما نحو جمع المال،أو السلطة والشهرة فتكون بقية العواطف تابعة لهذه العاطفة [٣].

---

(١) تفسير الرازي ، (٣١/ ٥٠) .

(٢) البيهقي في شعب الإيمان، (١/ ٥١١)

(٣) انظر: علم النفس أصوله وتطبيقاته التربوية، ص ١٥١.

١ ـ الأساس السلوكي :

يظهر في هذا الأساس عامل الجهد الذي يدفع السلوك في المسار الصحيح ، ومفهوم "الجهد" لا يتحدد بوساطة "العمل بعامة"، بل "بالعمل المؤثر الفعال" بخاصة، الذي موضوعه: "مقاومة قوة، أو قهر مقاومة" ، وهو تعريف متوافق ابتداء مع المعنى المادي، ولكنه يجب أن يتوافق أيضًا مع المعنى الأخلاقي عندما يجب الامتناع عن الشر، في مواجهة القوى التي تدفعنا إليه. ففي هذه الحالات جميعا لا يكفي أن "نعمل"، بل يجب أن "نجاهد بقوة وإصرار". (١) ، و الجهد يتحرك في مسارين :

الأول : مقاومة الهوى باجتناب السلوك المنهي عنه :

إذا نزغ إلى رغبات غير مشروعة . فيجب حينذاك عدم اتباعه لأنه دعوة للسقوط ، ويقوم الجهد بمواجهة الميول الخبيثة التي تحثنا على الشر قوة مقاومة قادرة على دفع تأثيرها ، ولقد رأينا أن القرآن لا يفتأ في كثير من المواضع يطالبنا بهذه المقاومة، وهو يعد أولئك الذين يعرفون كيف يقهرون شهواتهم بأعظم الغايات، (٢) ، يقول تبارك وتعالى: { وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى، فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى} (النازعات : ٤٠-٤١).

الثاني : قيادة الهوى في اتجاه السلوك المشروع :

فالمجاهدة لا تقف عند حدود مقاومة نزغات الشر في الهوى ، بل ترتقي به إلى فعل الخيرات يقول العلامة د. دراز : " قد عرفت الأخلاقية أحيانًا بأنها: "فن السيطرة على الأهواء"، وهذا التعريف ناقص؛ لأنه لا يعبر

---

(١) دستور الأخلاق في القرآن ، ص ٥٨٧

(٢) نفس المرجع ، ص ٥٩٤

إلا عن الجانب السلبي، والوجه الأدنى قيمة من العمل، بل إنه في رأينا مرحلة تمهيدية. فالأخلاق بالمعنى الكامل للكلمة هي أيضا وبصفة خاصة مشروع لتحقيق القيم الإيجابية[(١)] ، قال تعالى : {والذين جاهدوا فينا لنهدينّهم سبلنا وإنّ الله لمع المحسنين} (سورة العنكبوت : ٦٩).

وفي الآية وعد إلهي بتأييد الإنسان في مجاهدته ، وهو ما بينه قول النبي – صلى الله عليه وسلم – : "ما يكن عندي من خير لا أدخره عنكم، وإنه من يستعف يعفه الله، ومن يتصبر يصبره الله، ومن يستغن يغنه الله، ولن تعطوا عطاء خيرا وأوسع من الصبر". [(٢)]

فالمدد الإلهي مشروط إذن بجهد إنساني، وهذا الجهد مع ذلك يحتفظ بقيمته كاملة، فأما السكينة، والراحة اللتان تعقبانه فإنهما لا تنقصان من أجره شيئا [(٣)] .

٥-الأساس الاجتماعي :

التنشئة التربوية التي يتلقاها الفرد ، ودور الجماعة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أهم المؤثرات الاجتماعية في عملية الضبط الذاتي للفرد وتعزيز قدرته على اتقاء الأهواء .

وتعتبر الأسرة من أهم مصادر الضبط الاجتماعي، من خلال إكساب أفرادها المعايير وتشكيل الشخصية السوية للإنسان، وحمايته من الانحراف، وتدعيم الضبط الذاتي لديه، ويتم ذلك من خلال التنشئة الاجتماعية ، هي عملية يكتسب الأطفال من خلالها الحكم الخلقي والضبط الذاتي اللازم لهم حتى يصبحوا أعضاء راشدين مسئولين في

---

(١) دستور الأخلاق في القرآن، ص ٦١١

(٢) البخاري، كتاب الرقاق، باب ١

(٣) دستور الأخلاق في القرآن ، ٦٠٨

مجتمعهم . وهي عملية تعلم وتعليم وتربية ، تقوم على التفاعل الاجتماعي وتهدف إلى إكساب الفرد (طفلاً فمراهقاً فراشداً فشيخاً) سلوكاً ومعايير واتجاهات مناسبة لأدوار اجتماعية معينة ، تمكنه من مسايرة جماعته والتوافق الاجتماعي معها، وتكسبه الطابع الاجتماعي .(١)

فالأسرة لها دورها في تمكين أفرادها من ضبط أهوائهم ، وإذا غاب هذا الدور فسيكون الناتج نشء ضعيف جامحة شهواتهم .قال تعالى {وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا} (سورة النساء : ٩).

ولذلك توجه القرآن إلى المؤمنين ليقوموا بدورهم في وقاية أفراد الأسرة من المعاصي التي تودي بهم إلى العذاب ، {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ}(سورة التحريم : ٦)

كما نبه القرآن إلى تأثير الصحبة أو جماعة الرفاق في تكوين شخصيته لاسيما في سنوات مرحلتي الطفولة والمراهقة، حيث يكون أكثر تأثراً بأفراد هذه الجماعات الذين يكونون عادةً من الأنداد، سواء كانوا زملاء دراسة، أو رفاق لعب، أو أصدقاء عمر، أو غيرهم ممن يُرافقهم الإنسان لفتراتٍ طويلة أو قصيرة. مما يمكنها من تشكيل المعايير الاجتماعية لدي الفرد ،و تعمل كموجهات لسلوك المراهق وتصبح مصدر تقييم عام لسلوكه ونشاطه .

فدعانا القرآن إلى ملازمة الأخيار ، وحذر من اتباع أهل الهوى قال سبحانه وتعالى: {وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ

---

(١) دراسة في علم الاجتماع الأسرة ، ص ١٥٣

يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا} (سورة الكهف: ٢٨).

وفي الحديث عن أبي هريرة – رضي الله عنه –: أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: {الرجل على دين خليله؛ فلينظر أحدكم من يخالل}[١]، وهي دعوة نبوية للنظر في الصداقة وتأثيرها في الدين ذاته ، ويبينَ ابن القيم ذلك بقوله : " فإذا أراد العبد أن يقتدي برجل فلينظر هل هو من أهل الذكر أو من الغافلين؟ وهل الحاكم عليه الهوى أو الوحي؟ فإن كان الحاكم عليه هو الهوى وهو من أهل الغفلة. كان أمره فرطا." [٢].

وحذر العلماء من مصاحبة أهل الأهواء ، قَالَ أَبُو قِلَابَةَ «لَا تُجَالِسُوا أَهْلَ الْأَهْوَاءِ وَلَا تُجَادِلُوهُمْ، فَإِنِّي لَا آمَنُ أَنْ يَغْمِسُوكُمْ فِي ضَلَالَتِهِمْ، أَوْ يَلْبِسُوا عَلَيْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْرِفُونَ» ، سنن الدارمي (١/ ٣٨٧) ، وعن الحسن وابن سيرين: أنهما قالا: «لا تجالسوا أصحاب الأهواء، ولا تجادلوهم، ولا تسمعوا منهم» [٣]

(١) سنن أبي داود (٢٥٩/٤)

(٢) الوابل الصيب من الكلم ، ص٦٠

(٣)سنن الدارمي (١/ ٣٩١) ، ذم الكلام وأهله (٤/ ٢٩٧)

خاتمة

تناول هذا البحث شرعة القرآن الكريم ومنهاجه لاتقاء هوى النفس انطلاقا من خلال النصوص القرآنية وأقوال المفسرين ، التي استخلص منها الباحث صحة الفرضيات التالية :

١-الأهواء ميول بشرية تتعلق بغرائز الإنسان الفطرية وشهواته الجبلية ، التي تتطلب ضبطا وحذرا واتقاء ، وليست شرا محضا أو أمر مذموما في كل أحواله والتحذير من الأهواء أو اتباعها عندما تضغط على صاحبها لتدفعه إلى تصرف مخالف للعقل والشرع . والذي يقوى هذه النظرة ما ورد في القرآن ذاته حيث جاء أن النهي عن اتباع الهوى إذا كان مجافيا للهدى أو العلم ومن ذلك قوله تعالى : { وإنَّ كثيرا ليُضلُّون بأهوائهم بغير علْم } سورة الأنعام : (١١٩) وقوله : { ومن أضلُّ ممَّن اتَّبع هواه بغير هدى مِّن الله }سورة القصص : (٥٠).

وعلى الرغم من ان الهوى بما استودعه من غرائز تعتبر من المحفزات الاساسية لتطور البشرية وبعث النشاط والحيوية في نفوس الشعوب الا ان مثلها كما يعبر عنه احد العلماء كالنهر الجاري العاتي الذي يمكن ان يدمر المدن والقرى والارياف حينما يتجاوز القنوات التي تعمل على تصريفه بالشكل المفيد. فكما النهر الذي يعتبر عاملاً رئيسياً لسعادة الناس القائمة على ضفافه حينما لا يتجاوز حده كذلك الغرائز تمد الانسان بطاقة كبيرة حينما يتم الاستفادة منها بالشكل المعقول والمعتدل.

٢-المنهج القرآني- وبناء على الفرضية الأولى - يتجه إلى إرشاد الإنسان لاتقاء الهوى بمعني الانتفاع من طاقاته الدافعة والحذر من الانقياد له دون وعي، وهذا المنهج يتضح في مبدأ الإبدال أو التعويض الذي يعني

أن الإسلام عوضها عما حرمه عليها من مشتهياتها بما شرعه لها من الطيبات كما يظهر في شعائر العبادات ، يتم تهذيب الغرائز ، وأوضح ما يكون هذا في عبادة الصوم فالامتناع الاختياري عن بعض مشتهيات النفس لفترة زمنية يدعم الإرادة الذاتية في ضبط الهوى .

والإسلام لم يحرِّم على الإنسان التمتع بلذائذ الحياة وتصريف الطاقات ، وإنما وجهها وهذبها ، ووضع لها الحدود والضوابط ؛ لتحفظ للإنسان توازنه؛ ولهذا فإن المؤمن لا يتبع أهوائه، بل يخضعها لإرادة الله تبارك وتعالى بامتثال أوامره واجتناب نواهيه .

٣-اشتمال هذه المنهج على الأسس الضرورية لاتقاء الأهواء معرفيا ووجدانيا وسلوكيا ومجتمعيا في توجيهاته للفرد والأمة ، وتتضح ملامح هذه المنهج في القرآن الكريم لاتقاء الهوى في عقيدة تبين الغاية والمصير ، وفكر يقوم على العلم ونبذ الاستهواء والتقليد ،وعاطفة تحفز إلى الميول إلى الخير وتزع عن ميول الشر ، وسلوك يتطلب مجاهدة في مقاومة النزوات وتسعى إلى يوافق الفطرة والشرع، وبيئة اجتماعية تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر .

المصادر والمراجع

١. أدب الدنيا والدين ، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (ت ٤٥٠هـ) ،دار مكتبة الحياة ، ١٩٨٦م.

٢. الاستقامة،أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس ، تحقيق ، د. محمد رشاد سالم ، جامعة الإمام محمد بن سعود – المدينة المنورة ، ط ١ ، ١٤٠٣هـ.

٣. الأسرة والمجتمع،دراسة في علم الاجتماع الأسرة ، حسين عبد الحميد رشوان ، مؤسسة شباب الجامعة الإسكندرية،١٩٩٧ م.

٤. إعلام الموقعين عن رب العالمين ابن قيم الجوزية: أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي(ت ٧٥١) ، تحقيق ، طه عبد الرؤوف سعد ، دار الجيل ، بيروت – ١٩٧٣م .

٥. آفات على الطريق ، د. السيد محمد نوح ، دار الوفاء للطباعة و النشر و التوزيع ، ط١ ، ١٤٣٣هـ.

٦. اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم ، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (ت ٧٢٨هـ) ، تحقيق ، ناصر عبد الكريم العقل ، دار عالم الكتب، بيروت، لبنان ، ط ٧ ، ١٤١٩هـ – ١٩٩٩م.

٧. تاج العروس ، محمد بن محمد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (ت ١٢٠٥هـ) ، بيروت، منشورات دار مكتبة الحياة، (ب.ت).

٨. التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد» ، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت: ١٣٩٣هـ) ،الدار التونسية للنشر ، تونس١٩٨٤ هـ.

٩. التعريفات ، الجرجاني، علي بن محمد بن علي، تحقيق: إبراهيم الابياري. مصر، مطبعة دار الريان للتراث ١٩٣٨ .

١٠. تفسير ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت ٧٧٤هـ)، تحقيق ، محمد حسين شمس الدين ، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون – بيروت ، ط ١– ١٤١٩ هـ.

١١. تفسير أبي السعود ، إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ، أبي السعود محمد بن محمد العمادي (ت ٩٨٢هـ)، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، (د.ت).

١٢. تفسير البيضاوي ، أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (ت ٦٨٥هـ) ، تحقيق ، محمد عبد الرحمن المرعشلي ، دار إحياء التراث العربي – بيروت ، ط ١، ١٤١٨ هـ.

١٣. تفسير الرازي ، مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (ت ٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت ، ط ٣ ، ١٤٢٠ هـ

١٤. تفسير القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (ت ٦٧١هـ) ، تحقيق، أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش ، دار الكتب المصرية – القاهرة ، ط ٢ ، ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤ م

١٥. التفسير الوسيط ، د وهبة بن مصطفى الزحيلي ، دار الفكر ، دمشق ط ١ ، ١٤٢٢ هـ

١٦. جامع البيان في تأويل القرآن ، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (ت٣١٠هـ) تحقيق أحمد محمد شاكر ،مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠ م

١٧. جامع العلوم والحكم ، زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السلامي، البغدادي، الدمشقي، الحنبلي (ت ٧٩٥هـ) ، تحقيق،الدكتور محمد الأحمدي أبو النور ، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع ، ط ٢ ، ١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٤ م.

١٨. دستور الأخلاق في القرآن ، محمد بن عبد الله دراز (ت ١٣٧٧هـ) ، مؤسسة الرسالة ، ط ١٠ ، ١٤١٨هـ – ١٩٩٨م

١٩. ديوانا عروة والسموأل. بيروت: دار صادر ، ١٩٦٤ م

٢٠. ذم الكلام وأهله، أبو إسماعيل عبد الله بن محمد الأنصاري الهروي(ت٤٨١هـ) ،تحقيق عبد الرحمن عبد العزيز الشبل ، المدينة المنورة ، مكتبة العلوم والحكم ،١٤١٨هـ –١٩٩٨م.

٢١. ذم الهوى ، أبو الفرج عبد الرحمن بن أبي الحسن الجوزي ، تحقيق : مصطفى عبد الواحد ط ١،(ب.ت).

٢٢. الرُّوح ،الروح في الكلام على أرواح الأموات والأحياء بالدلائل من الكتاب والسنة ،محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ)،دار الكتب العلمية – بيروت، (ب.ت).

٢٣. روح المعاني، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (ت ١٢٧٠هـ) ، تحقيق ، علي عبد الباري عطية ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١، ١٤١٥ هـ

٢٤. الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام ، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد السهيلي (ت ٥٨١هـ) ، تحقيق ، عمر عبد السلام السلامي ، دار إحياء التراث العربي، بيروت ، ط ١ ، ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م.

٢٥. روضة المحبين ونزهة المشتاقين ، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١هـ) ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣ م

٢٦. سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (ت ١٤٢٠هـ)، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض ، ط ١،١٤١٥هـ - ١٩٩٥ م.

٢٧. سنن أبي داود ، أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (ت ٢٧٥ هـ) ، تحقيق ، شعَيب الأرنؤوط ، محَمَّد كامِل قره بللي ، دار الرسالة العالمية ، ط َ١، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م.

٢٨. سنن الدارمي تحقيق حسين سليم الداراني، دار المغني، الرياض ،ط ١ ، ١٤٢١ هـ .

٢٩. شعب الإيمان ، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (ت ٤٥٨هـ)تحقيق،د. عبد العلي عبد الحميد حامد ، مكتبة الرشدَ للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند ، ط١ ، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م .

٣٠. الصحاح، اسماعيل بن حماد الجوهري دار العلم للملايين بيروت، ط٣ ، ١٤٠٤هـ.

٣١. صحيح مسلم،المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (ت ٢٦١هـ) ، تحقيق ، محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ،(ب.ت).

٣٢. صيد الخاطر، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي(ت ٥٩٧هـ) ، دار القلم - دمشق -ط١ ، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.

٣٣. العقل والهوى ، محمد بن علي بن الحسن بن بشر، أبو عبد الله، الحكيم الترمذي (ت ٣٢٠) تحقيق ، وجيه أحمد عبد الله ، دار المعرفة الجامعية ، مصر ، ٢٠١٣ م.

٣٤. علم النفس أصوله وتطبيقاته التربوية. مصطفى فهمي. مكتبة الخانجي (د.ت).

٣٥. علم النفس الاجتماعي أحمد عبد العزيز سلامة دار النهضة العربية القاهرة،١٩٨٠م.

٣٦. فتح الباري شرح صحيح البخاري ، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني ، (ت ٨٥٢)رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه :محمد فؤاد عبد الباقي، دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩ هـ.

٣٧. الفصل في الملل والأهواء والنِّحل ،ابن حزم الأندلسي:. صحّحه: عبد الرحمن خليف، مصر: مكتبة ومطبعة علي ،(بَ.ت).

٣٨. الفوز الأصغر ، مسكويه، أبو علي أحمد بن محمد، تحقيق: صالح عضيمة، دمشق، الدار العربية للكتاب ١٩٨٧ .

٣٩. القاموس المحيط، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (ت: ٨١٧هـ) ، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ، لبنان ط ٨، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م.

٤٠. لسان العرب ، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (ت ٧١١هـ) ، بيروت، دار صادر.ط ٣، ١٤١٤ هـ

٤١. مبادئ علم النفس ،د. مختار حمزة، دار المجتمع العربي،جدة ، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.

٤٢. مجلة البحوث الإسلامية ، العلامة الشيخ عبدالرزاق عفيفي ومعالم منهجه الأصولي ، د.عبد الرحمن بن عبد العزيز بن عبد الله السديس ، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، أ الإصدار من رجب إلى شوال لسنة ١٤٢٠هـ.

٤٣. مجمل اللغة ،ابن فارس، أبو الحسن، أحمد بن فارس بن زكريا القزويني (ت٣٩٥هـ)، ، تحقيق: زهير عبد المحسن،مؤسسة الرسالة، لبنان-بيروت ، ط ٢ ١٩٨٦م.

٤٤. مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر (ابن قيم الجوزية) دار الكتاب العربي ،ط ٣ ، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦م .

٤٥. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير ،أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس (ت ٧٧٠هـ) ،المكتبة العلمية - بيروت (د.ت.)

٤٦. الحدود الأنيقة والتعريفات الدقيقة،زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الأنصاري، زين الدين أبو يحيى السنيكي (المتوفى: ٩٢٦هـ) ، تحقيق ، د. مازن المبارك ، دار الفكر المعاصر ، بيروت ط١، ١٤١١ هـ.

٤٧. المعجم الكبير ، سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني ، تحقيق : حمدي بن عبدالمجيد السلفي ، مكتبة الزهراء ، الموصل ، ط ٢ ، ١٤٠٤ هـ .

٤٨. معجم مقاييس اللغة ، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا ، تحقيق ، عبد السلام محمد هارون ، دار الفكر ، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م

٤٩. مفردات ألفاظ القرآن ،الأصفهاني، الحسين بن محمد بن المفضل، (ت٥٠٢هـ)،دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، ط٢ ،١٤١٨-١٩٩٧م.

٥٠. المقالة الأولى أرسطو، طاليس، ترجمة :اسحق بن حنين في النَّفْس، مراجعة وتحقيق، عبد الرحمن بدوي .مصر، شركة النهضة المصرية ،١٩٥٤م.

٥١. مقاييس اللغة ،ابن فارس، لأبي الحسين أحمد،تحقيق :عبد السلام هارون .بيروت :دار الجيل ، ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.

٥٢. موسوعة العلامة الإمام مجدد العصر محمد ناصر الدين الألباني ، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (ت ١٤٢٠هـ) ، صنعه، شادي بن محمد بن سالم آل نعمان ، مركز النعمان للبحوث والدراسات الإسلامية وتحقيق التراث والترجمة، صنعاء – اليمن ط ١ ، ١٤٣١ هـ – ٢٠١٠ م.

٥٣. الوابل الصيب من الكلم الطيب لابن القيم، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي (ابن قيم الجوزي) ، تحقيق: محمد عبد الرحمن عوض ، دار الكتاب العربي،بيروت ،ط ١ ، ١٤٠٥ هـ

٥٤. رسائل إخوان الصفا، ، وخلان الوفا ، احمد بن عبد الله ، بيروت ، دار صادر (ب.ت).

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية

٢٠١٥/٦٨٤٤م